

أبحاث ودراسات



مخطوط "الأجوبة" للونشريسي

(ت 914هـ/1509م)

بقلم

د طارق زوكاغ



منشورات مركز الإمام مالك الإلكتروني



مخطوط الأجوبـــــة للونشريـسي

بقلم

الدكتور طارق زوكاغ



ـ **الرسالة**: مخطوط الأجوبة للونشريسي

ـ **إعداد** : د طارق زوكاغ

ـ **تصميم وإخراج** : مركز الإمام مالك الإلكتروني.

ـ **الطبعة** : الأولى ـ ٢٠٢١.



توطئة

يسعى هذا البحث إلى التعريف بأحد المؤلفات النوازلية للإمام أبي العباس الونشريسي، والتي لم تُحقَّق بَعدُ، كما يُناقش الأسباب التي أبقت الكتاب مخطوطاً؛ بالرغم من أهميته وكثرة النُّقُولِ عنه في كتب النوازل والفقه بالغرب الإسلامي.

أولا: التعريف بالإمام الونشريسي وتراثه النوازلي.

الإمام أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي، وُلد سنة (٨٣٤هـ/١٤٣١م)، ونشأ بمدينة تلمسان(١)، واضطر إلى الهجرة من تلمسان سنة (٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، فاختار الانتقال إلى مدينة فاس لعدة أسباب؛ يأتي على رأسها علاقته الوطيدة بعلمائها وفقهائها وطلابها، حيث لقي-رحمه الله-من حفاوة فقهائها وإقبال طلبتها عليه ما أنساه الغُربة، وجعله يَنْسَجِمُ في بيئته الجديدة انسجاما تامًا. وقد نزل أول ما نزل هناك على "الأستاذ محمد الصغير"(٢)، وسكن بعدها بدار للحبس بمجاورة المسجد حتى وافته المنية يوم الثلاثاء الموفى عشرين من صفر من عام (٩١٤هـ/١٥٠٨م)، ودُفِن-رحمه الله-بمقبرة باب الفتوح(٣). ففَقَدَ الغرب الإسلامي بوفاته مَنارة عالية في الفقه المالكي والنوازلي، وسنكتفي بشهادة شيخ الجماعة ابن غازي(٤)(ت ٩١٩هـ/١٥١٣م)؛ إذ قال: "لو أَنَّ رجلا حلف بطلاق زوجته أَنَّ أبا العباس الونشريسي أحاط بمذهب مالك، أصوله وفروعه، لكان بَارًّا في يمينه، ولا تُطلَّق عليه زوجته لِتحَرّيهِ وكثرة اطِّلاعه وحِفظه وإتقانه"(٥).

(١)- فهرس أحمد المنجور، تحقيق محمد حجي، دار المغرب الإسلامي للتأليف والترجمة والنشر-الرباط، طبعة ١٩٧٦م. ص: ٥٠-٥١. ابن عسكر(محمد الحسيني) ، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتاليف والترجمة-الرباط الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧م/١٣٩٧هـ. ص: ٤٧-٤٨.

(٢)- "أبو عبد الله محمد الصغير المعروف بالسهيلي، الشيخ الكبير أحد العلماء العاملين، أخذ عن الجزولي وروى عنده دلائل الخيرات، وروايته أصح الروايات، توفي عن سِنّ عالية سنة ٩١٨هـ". ابن مخلوف، "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية"، المطبعة السلفية-القاهرة، طبعة سنة ١٣٤٩هـ، (٢٧٥/١).

(٣)- الكتاني (محمد بن جعفر الكتاني)، "سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس"، منشورات دار الثقافة للطباعة والنشر-الدار البيضاء، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، (١٥٤/٢-١٥٥).

(٤) - "أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غازي العثماني المكناسي ثم الفاسي: شيخ الجماعة بها، تولى الإمامة والخطابة بجامع القرويين ولم يكن في عصره أخطب منه". ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ٣٩٨/١-٣٩٩.

(٥)- "دوحة الناشر"، ابن عسكر، (ص:٤٧).

واعتُبِرَتْ تآليف أبي العباس-رحمه الله- مرجعاً مُعتمدا في علم الفقه والفتوى والقضاء والتوثيق ببلاد المغرب، وحظيت بالعناية والتحقيق، وصارت نوازله مجالاً معرفيا خصبا للباحثين في تاريخ الغرب الإسلامي على اختلاف تخصصاتهم، وأشهرها موسوعته النوازلية الموسومة بـ"المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب"(٦)، و"الأجوبة الونشريسية على المسائل القلعية"(٧)، و"إضاءة الحلك، والمرجع بالدرك، على من أفتى من فقهاء فاس بِتضمين الراعِي المُشترك"(٨)، و"أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يُهاجر، وما يترتَّب عليه من العقوبات والزواجر"(٩)، و"الأسئلة والأجوبة"(١٠)، و"الإشارات الحسان المرفوعة إلى حبر فاس وتلمسان"(١١)، و"مُختصر أحكام البُرزلي"(١٢)، و"المبدي لخطأ الحميدي"(١٣).

ومن بين مؤلفات الونشريسي التي لازالت مخطوطة ولم يُكتب لها التحقيق بعد؛ كتاب "الأجوبة" الذي ضم العديد من النوازل الفقهية الفريدة التي لا توجد في غيره، والتي اعتمدها كبار النوازليين والفقهاء ببلاد المغرب كما سنفصل بعد.

ثانيا: مضمون كتاب "الأجوبة" ونسبته للونشريسي.

كتاب "الأجوبة" هو مجموع من أجوبة فقهاء الغرب الإسلامي حول النوازل الفقهية التي عُرِضت عليهم، وشاعت نِسبَتُهُ بين النوازليين والباحثين للونشريسي؛ بالرغم من أنَّ المُطَّلِعَ على الكتاب يَتَّضِحُ له أنَّ أبا العباس ليس هو صاحب المجموع، حيث نَبَّهَ الدكتور أحمد بوطاهر الخطابي مُحقق كتاب "إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام

(٦) - حقق تحت إشراف محمد حجي، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغرب، سنة النشر (١٤٠١هـ/١٩٨١م).

(٧) - توجد مجموعة من النسخ الخطية بالمغرب؛ منها: نسخة بالمسجد الأعظم بوزان، تحت عنوان: "الأجوبة الونشريسية على المسائل القلعية"، رقم الحفظ: ٥٢٦. ونسخة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية بالرباط، تحت عنوان: "أجوبة على أسئلة فقهية"، رمز الوثيقة: ك ٦٨٤. ونسخة بالخزانة الحسنية بالرباط، تحت عنوان: "أجوبة فقهية" للونشريسي، رقم: ١٢٢٩٠.

(٨) - توجد نسخة مطبوعة منها على الحجر ضمن مجموع بخزانة القرويين (رقم: ١٦٥٨١).

(٩)- "المعيار المعرب"، الونشريسي، (١١٩/٢-١٣٦).

(١٠) - رسالة تتضمَّنُ مجموعة من الأسئلة والأجوبة وضعها الونشريسي عام(٨٧١هـ) بتلمسان، وبعث بها إلى أستاذه عبد الله القوري بفاس، وضمَّنَ مُعظمها في "المعيار"(١٠). وتوجد نسخة مخطوطة منها ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية تحت رقم: ق ١٠٦١.

(١١) - هو مجموعة من الأسئلة بعثها الونشريسي لِشيخ الجماعة ابن غازي المكناسي سنة(٨٨٧هـ/١٤٨٢م)، ويوجد نص أسئلة الونشريسي وتقييداته على جواب ابن غازي في كتاب "أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض"؛ للمقري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر-القاهرة، طبعة سنة (١٣٦١هـ/١٩٤٢م)، (٦٥/٣-٨٧).

(١٢) - حقق الكتاب عدة مرات في الجامعات المغربية؛ منه تحقيق الباحث ضيف الله بن عمر بن سالم الحداد تحت إشراف مزدوج من الدكتور حميد بن محمد لحمر، والدكتور عبد الله العماري، وحصل به على درجة الدكتوراه من جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب سايس؛ بتاريخ (٢٠١٣/٠٦/٢٤م).

(١٣) - رسالة صغيرة من٢٤ صفحة؛ تضمنت تصويبات خطإ ما ذهب إليه أحد طلبة فاس إثر إجابته على مسألة في النكاح، يوجد ضمن مجموع بالخزانة الوطنية للمملكة المغربية بالرباط، رمز الوثيقة ٢٣٦/٢.

مالك" على هذا اللبس بقوله: "كتاب (الأجوبة) جمع فيه أجوبته، أو جُمعت له على الأصح، وأضيفت إليه ٥٤ مسألة؛ كان وجهها إلى فاس أبو عبد الله القلعي، فأجاب عنها أبو العباس الونشريسي، وتُعرف بالمسائل القلعية، أشار إليها ابن مريم في البستان"(١٤).

وعدم نِسبَةِ المجموع للونشريسي هو ما نُفيده من تَعبيرات النوازليين الذين نقلوا أجوبة الونشريسي من الكتاب؛ كأبي محمد الزياتي(١٥)(ت.١٠٥٥هـ/١٦٤٥م) الذي ختم جوابا مَنقولا من "مخطوط الأجوبة" بقوله: "انتهى من بعض التقاييد"(١٦)، والمهدي الوزاني(١٧)(ت.١٣٤٢هـ/١٩٢٣م) الذي نقل جواب آخر وذيله بقوله: "كذا عندي مُقَيَّداً بخطي، قيدته زمن إقامتنا بفاس، ولا أدري من أين نقل هذا المكتوب من خطه"(١٨).

وقد أسهمت مجموعة من الأسباب في شيوع نِسبَةِ الكتاب للونشريسي؛ منها عدم ذِكر مُؤلِّف هذا المجموع لاسمه في ثنايا الكتاب، وتضمينه العديد من فتاوى أبي العباس-رحمه الله-، وتَذييله بأجوبته عن الأسئلة التي أرسلها إليه الفقيه سيدي محمد المعروف بالقلعي(ق.١٠هـ/١٥م)(١٩)، حتى أصبح العديد من الباحثين يجعلون كتاب "الأجوبة" نفسه "المسائل القلعية"، هذا بالإضافة لتشابه وَسم الكتاب بعناوين بعض المؤلفات النوازلية للونشريسي؛ كالرسالة المُعنونَة بـ"الأسئلة والأجوبة" التي جمعت المسائل التي أرسلها من تلمسان سنة (ت.٨٧١هـ/١٤٦٦م) لشيخه أبي عبد الله القوري(ت.٨٧٢هـ/١٤٦٧م) بفاس.

ثالثا: البحث عن مخطوط "الأجوبة" للونشريسي.

بعدما عَقَدْتُ العزم على تَقَصِّي أجوبة الونشريسي، وتقميشها من كتب النوازل والفقه المطبوعة والمخطوطة التي ظلت حبيسة رفوف الخزانات والمكتبات العلمية؛ قصد جمعها في سِفر واحد، وتَيسِير الاطلاع عليها من قِبل

(١٤) - الخطابي (أحمد بوطاهر)، إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك، ، صُندوق التراث الإسلامي المُشترك بين الإمارات العربية المتحدة والمملكة المغربية، الطبعة الأولى: ١٩٨٠م/١٤٠٠هـ، ص: ٦٩.

(١٥)- "عبد العزيز بن الحسن (أبي الطيب) ابن يوسف أبو فارس الزياتي (ت.١٠٥٥هـ/١٦٤٥م): فقيه، من علماء المالكية، من سكان تطوان، ووفاته بها، قرأ بمراكش، ورحل إلى المشرق فأخذ عن بعض الشيوخ بمصر"، الزركلي، الأعلام، ١٦/٤.

(١٦) - "الجواهر المختارة مما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة"، الزياتي، تحقيق غنية عطوي، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية-قسنطينة-الجزائر، السنة الجامعية: [١٤٣٣-١٤٣٤هـ/٢٠١٢-٢٠١٣م]، (ص:٢٥٨).

(١٧) - "محمد المهدي بن محمد بن محمد بن خضر بن قاسم العمراني الوزاني الفاسي، أبو عيسى: مفتي فاس وفقيهها في عصره، من المالكية، أصله من قبيلة (مصمودة) من جبال غمارة، ونسبته إلى عمران بن يزيد بن صفوان جد العمرانيين الذين في غمارة. مولده بوزان ووفاته بفاس"، الزركلي، الأعلام، الزركلي، ١١٤/٧.

(١٨) - الوزاني (المهدي) المعيار الجديد الجامع المُعرِب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب، تحقيق عمر بن عباد، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغرب، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ٤٨٠/١.

(١٩)- وُصف بأنه "أحد أكابر تلاميذ الشيخ الإمام العارف بالله تعالى سيدي محمد بن يوسف السنوسي"، يُنظر ابن مريم (محمد المديوني)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية-الجزائر، الطبعة الأولى: (١٣٣٦هـ/١٩٠٨م)، ص: ٢٧١.

الباحثين، تمكنت-بفضل الله-أن أجمع ما يزيد على ستة وعشرين ومائتي من تلك الأجوبة المنثورة(٢٠)، مع التَّحَرُّزِ من نِسبة ما ليس له إليه، ولم يتعذر عَلَي سوى الوقوف على مخطوط "الأجوبة"؛ الذي أجد الإحالة عليه في العديد من المصادر النوازلية والفقهية، وكتب التراجم، ومُقدمات تحقيق كتب الونشريسي، و عندما أَتَتبع أرقام الفهارس التي وضعها الباحثون المهتمون بتراثه-رحمه الله-؛ لا أجد المخطوط المطلوب. فمثلاً؛ ذكر بوطاهر الخطابي وُجود "نُسخة من كتاب الأجوبة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم ك-٦٨٤، وأخرى بخزانة تطوان تحت رقم: ٦٥٤"(٢١)، وبالرجوع إلى المكتبة الوطنية للمملكة المغربية بالرباط لرمز الفهرسة [ك ٦٨٤]؛ نجد فقط الرسالة المشهورة ب"المسائل القلعية"، التي ذكر الخطابي أنَّها ذيل لكتاب "الأجوبة"، وهي تحت عنوان: "أجوبة على مسائل فقهية"(٢٢)، و سبق لي أن ألححت على قَيِّمِ المكتبة بأن يُخبرني سَبَبَ عدم وجود الكتاب، فكان الجواب بتَعَذُّرُ الاطلاع عليه؛ لأَنَّهُ في مرحلة التَّرميم.

أما النُّسخة المذكورة بالخزانة العامة بمدينة تطوان؛ تحت رقم: ٦٥٤، فإنها تعود لمخطوط "المنهج الفائق والمنهل الرائق والمعنى اللائق بآداب الموثق وأحكام الوثائق" لأحمد بن يحيى الونشريسي، وليس لمخطوط "الأجوبة" له-رحمه الله.

وهذا لا يعني أنَّ الدكتور الخطابي أخطأ في الإحالة على مَظِنَّةِ المخطوط المَطلُوب، وإنما ترجع المسألة إلى إعادة فهرس المكتبات الوطنية للمملكة المغربية بالرباط لرصيدها الوثائقي؛ بعد إنشاء مَقرها الجديد سنة ٢٠٠٨م، وتَصوير العديد من المخطوطات وفق التِّقنيات الحديثة المتطورة، وكذلك الأمر بالنسبة للخزانة العامة للكتب والوثائق بتطوان؛ التي عرفت عملية ترميم وإصلاح وتجهيز وتحديث، ثم إعادة فتح أبوابها في وجه العموم سنة ٢٠٠١م.

وقد ذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي" أنَّ الحظ أسعفه في الاطلاع على مخطوطة (أجوبة فقهية) وتدعى أحيانا أجوبة أو فتاوي الونشريسي، وأنه في النوازل الفقهية، وهو كما يَدُلُّ العنوان، أجوبة على أسئلة وَرَدَتْ عليه من المعاصرين في الموضوع، وقال: "هذا مخطوط أيضا في الخزانة العامة بالرباط رقم ك ٦٨٤، وهو في حجم كبير (١٧٧ صفحة)، ولرداءة الحبر أصبحت أجزاء بعض الصفحات لا تكاد تُقرأ"(٢٣).

---

(٢٠) - هذا المجموع قيد الطبع والنشر بعنوان: "أجوبة أبي العباس الونشريسي: جمع وتصنيف".

(٢١) - الخطابي، إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك، ص: ٦٩.

(٢٢)- الأول ضمن مجموع من (ص: ١)، إلى (ص: ١٤). في كل لوحة ٣٦ سطرا، وفي كل سطر ١٥ كلمة في المتوسط، وهي نسخة تامة مكتوبة بخط مغربي دقيق. رؤوس الفقرة مكتوبة بالحمرة، ولا يُعرف اسم ناسخه، ولا تاريخ النسخ.

(٢٣) - سعد الله (أبو القاسم)، "تاريخ الجزائر الثقافي"، دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٨م، ١/١٣٠.

قلت: غلب الظن حينها بأن المقصود بكتاب "الأجوبة" اختصار الونشريسي لأحكام أبي القاسم البُرزلي(٢٤)؛ بسبب تَقارب عدد صفحاتهما. وازداد هذا الظن غلبة عندما وقفت على مخطوط للونشريسي بعنوان "حفظ الأئمة" بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية-المملكة العربية السعودية، رقم الحفظ: [١٩٣٥-ف]، وبعدما اطلعت عليه؛ تَبَيَّنَ لي أنه مُختصر الونشريسي لنوازل البُرزلي.

وهكذا عَدَلْتُ عن البحث عن مخطوط "الأجوبة" للونشريسي في فهارس المكتبات الوطنية والدولية، إلى أن قَدَّرَ الله لي النظر في حساب الدكتور إبراهيم عبد العزيز اليحيى التميمي؛ رئيس قسم المخطوطات في مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض على موقع التواصل الاجتماعي "تويتر" "Twitter"، فوجدته يَعرض في أرشيفه صورة من مَخطوطٍ يَتَضَمَّنُ جوابا للونشريسي لم يسبق لي الاطلاع عليه فيما قمشته من أجوبته-رحمه الله-، فبادرت إلى مُراسلته طالبا منه تمكِيني من المخطوط عساي أجد فيه بُغيَتي، فلم يَبخَلْ عليَّ -حفظه الله-في تَلْبِيَةِ طلبي، بعدما أخبرني أَنَّهُمْ الآن في قسم المخطوطات بدأوا من جديد في مراجعة الفهرسة وتدقيقها، ويوجد المخطوط تحت البيانات الآتية:

[-رقم الحفظ: ٤٣٢٥، الفن: الفتاوى، العنوان: المعيار المعرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس وبلاد المغرب ج٢، المؤلف: أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي التلمساني، تاريخ وفاته: ٩١٤هـ، شهرته: الونشريسي، لغة المخطوط: عربي، تاريخ النسخ: ق ١٢، نوع الخط: مغربي، عدد الأجزاء: ١، عدد الأوراق: ١٥٠ ورقة، عدد الأسطر: ٢١سطر.

-بداية المخطوط: سُئل الشيخ الأجل الفقيه الماجد الأفضل أبو العباس سيدي أحمد الوانشريسي حفظه الله تعالى ورعاه عن تقض الكتاني رمضان وغزله فيه فأجاب غفر الله له.

-نهاية المخطوط: فرغ من صلاته فيذكر أنه قد كان صلى وذكر أنه نسي مسح رأسه....بإجماع إذ قد صحت له إحدى الصلاتين من نزل على قوم فلا.

- بيانات أخرى: المخطوطة أصابها التلف ما أدى إلى فقد بعض الصفحات من أطرافها كتبت بمداد أسود وبعض الكلمات بالحمرة وبعضها بالأسود العريض].

وما يُمكن ملاحظته ابتداء حول البيانات السالفة؛ الخطأ الحاصل في العنونة، حيث أثبتت مخطوط "الأجوبة" تحت عنوان: "المعيار المعرب-الجزء الثاني".

أما الملاحظة الثانية فَتَتَعَلَّقُ بِعَدَدِ ورقات المخطوط، حيث ذَكرت أنها ١٥٠صفحة، بينما نقل أبو القاسم سعد الله في مُعَايَنَتِهِ للمخطوط؛ أنّ صفحاته تبلغ ١٧٧، ويُمكن إرجاع الفرق العددي بينهما إلى عدم تَضَمُّنِ نُسخَةِ مكتبة الملك عبد العزيز العامة لـ "المسائل القلعية" التي ذكر الخطابي أنها ذيل للكتاب. أما سبب استقلالها عنه؛ فقد

(٢٤) - "أبو القاسم بن أحمد البرزلي البلوي القيرواني ثم التونسي: مفتيها وفقيهها وحافظها وإمامها بالجامع الأعظم بعد الإمام الغبريني، شيخ الشيوخ وعمدة أهل التحقيق والرسوخ، له ديوان كبير في الفقه جمع فأوعى، وله الحاوي في النوازل، اختصره حلولو والبوسعيدي والونشريسي، وله فتاوى كثيرة في فنون من العلم". ابن مخلوف، شجرة النور الزكية، ٣٥٣/١.

يكون نَتَجَ عن شُهرة المسائل القلعية بين الناس وإقبالهم عليها، ذلك ما صَرَّحَ به ابن مريم[ت. ١٠١٤هـ/١٦٠٥م](٢٥) مُؤرخ مدينة تلمسان في كتابه "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"(٢٦).

وعليه؛ يُعتبر مَخطوط "الأجوبة" تاما من حيث الجملة؛ إذا ما استثنينا بعض الفراغات القليلة في عدد من صفحاته.

رابعا: أهمية مخطوط "الأجوبة"، واعتماده في المدونات النوازلية والفقهية.

يُعتبر كتاب "الأجوبة" المَنسُوبُ للونشريسي؛ جامع مُغرِب للعديد من النوازل الفريدة ببلاد المغرب، التي لا نجدها في غيره من المدونات النوازلية، حيث يُفيد منه الباحثون في التراث الفقهي، وفي التراث التاريخي والاجتماعي للمنطقة؛ فهو جنس مصدري تاريخي مكتوب بلغة فقهية، و"قضايا رُفعت من مُختلف فئات المجتمع إلى القضاة ورجال الفتوى للنظر فيها، وهي عادة ما تَذكُرُ القضية أو النازلة كما حدثت بأشخاصها ووقائعها واسم المُفتي الذي رفعت إليه، وأحيانا تاريخ وقوع النازلة، ثم الجواب أوالفتوى حول تلك النازلة أوالمسألة الفقهية، فهي مرآة صادقة تعكس هموم ومشاكل لأفراد المُجتمع وما يَشغلُهم في تلك الفترة"(٢٧).

وكم سُرِرْتُ بِفَرح أحد الإخوة الباحثين المتخصصين في دراسة تاريخ مدينة تازة المغربية في العصر الوسيط انطلاقا من تراثها النوازلي؛ عندما أخبرته بِوُجُودِ نازلة تازية فريدة في كتاب "الأجوبة"(٢٨).

وتَتَجَلَّى أهمية هذا المصدر النَّفِيسِ في كثرة النُّقُول منه في أمهات المدونات النوازلية المشهورة، فعلى سبيل المثال؛ نَقَلَ منه الزياتي في "الجواهر المختارة" نازلة حول جواز السَّلف من مال المسجد للمُوسر الواسع المال الظاهر الملك(٢٩)، ونقل منه الشريف العلمي(٣٠)(ق.١٢هـ/١٨م)، في نوازله نازلة حول جواز غرس الشجر في صحن المسجد(٣١)، وأخرى عن أهل قرية بَنَوا بيتا في صحن المسجد، ويسمونه المعمرة؛ لقراءة صبيانهم، وللطلبة الغرباء،

---

(٢٥)- "محمد بن محمد بن أحمد، الملقب بابن مريم، أبو عبد الله الشريف المليتي نسبا المديوني أصلاً، التلمساني منشأ ووفاة، مؤرخ من علماء تلمسان"، الزركلي، الأعلام"، ٦١/٧.

(٢٦)- يُنظر ابن مريم، البستان"، ص: ٢٧١.

(٢٧) كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، طبعة سنة ١٩٩٧م، ص:٨-٩.

(٢٨) - موضوع النازلة يرتبط بقضية كراء حِمار للتَّحميل عليه من تازة إلى فاس، تَمَّتْ سرقته من قِبل قطاع الطرق، فهل يلزم غرم الحمار أم لا؟"، يُنظر مخطوط "الأجوبة"، الونشريسي، اللوحة: ٧٧.

(٢٩) - الزياتي، الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة، ص:٢٥٨.

(٣٠) - "أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن عيسى بن علي بن سعيد بن عبد الوهاب بن علال بن عبد السلام بن مشيش الحسني العلمي، كان أجداده يعرفون في مدينة شفشاون بشرفاء القوس وبأولاد الشريف، وهو من أعلام القرن الهجري الثاني عشر"، يُنظر مُقدمة "نوازل العلمي"، تحقيق المجلس العلمي بفاس، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغرب، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ١٢/١.

(٣١)- مخطوط "الأجوبة"، الونشريسي، اللوحة: ٢٥، و"نوازل العلمي"، (٣٠٥/٢-٣٠٦).

ويقرؤون فيها ويَسكنوها، ويَسكن فيها الإمام العازب، ويَبيت فيها الغرباء صونا للمسجد (٣٢) ونَقل السجلماسي(٣٣)(ت.١٢١٤هـ/١٨٠٠م) في شرحه لمنظومة العمل الفاسي؛ نازلة تتعلق بعادة رباط القبائل في السارق، أو من يتكلم في امرأة؛ أنه يؤخذ منه طعام يجتمعون عليه ويأكلونه(٣٤)، ونقل المهدي الوزاني جوابا حول جواز جمع الإمام الساكن في لمسجد إذا لم يجد من يستخلف في غيابه(٣٥).

ولا يُمكن أن يُستعاض بمثل هذه النُّقول عن مصدرها الأصلي(كتاب الأجوبة)، لأننا نَجِدُ العديد منها مُختَصراً أو اقْتُصَرَ فيه مُؤلفوه على نَقْلِ الجواب فقط دون أن يَذكُرُوا السؤال، فيكتبون اختصاراً (مسألة تُعرف من الجواب)؛ إذْ كان اهتمام النوازليين حينها مُنْصَبٌّ على الجواب أكثر من السؤال، بخلاف الباحثين في التاريخ الاجتماعي الذين يُركزون على السؤال أكثر من الجواب الفقهي، ومن النوازل التي سطروها على هذه الشاكلة نذكر الآتي:

اقتصر التسولي(٣٦)(ت.١٢٥٨هـ/١٨٤٢م) في "الجواهر النفيسة فيما يتكرر من النوازل الغريبة" على نَقل جواب للونشريسي حول جواز الصلاة في بيت الكافر(٣٧)، وجواب حول شراء ما يأخذه أصحاب الوظائف الظلمية(٣٨)، وآخر حول الضمان في الدلالة(٣٩)، وذلك دون أن يذكر الأسئلة من مصدرها.

وكذلك نقل الشريف الوزاني في "المعيار الجديد" جواباً للونشريسي حول اشتراط العدالة في الإمام والشاهد(٤٠)، وجوابا حول جواز قتال الطائفة القاطعة للطريق(٤١)، وآخر حول مسألة المضغوط في غرامة مال بالباطل(٤٢)،

(٣٢)- مخطوط "الأجوبة"، الونشريسي، اللوحة: ٢٥، و"نوازل العلمي"، (٣٠٤/٢).

(٣٣) - "محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الجليل، أبو زيد السجلماسي الفيلالي البوجعدي العيشاوي، فقيه مالكي، سجلماسي الأصل، من تافيلالت، كانت إقامته في أبي الجعد بتادلا، وأمره السلطان بسكنى الرباط للتدريس بها وقراءة البخاري، فسكنها إلى أن أذن له بالعودة إلى أبي الجعد، فاستقر إلى أن توفي بها"، الزركلي، الأعلام".٨/٧.

(٣٤)- مخطوط "الأجوبة"، الونشريسي، اللوحة: ٦٠، و"شرح العمل الفاسي لأبي زيد الفاسي"، محمد بن القاسم السجلماسي، مكتبة الملك آل سعود–قسم المخطوطات، الرقم العام: ٥٣٨٨، اللوحة: ١٥٦.

(٣٥)- مخطوط "الأجوبة"، الونشريسي، اللوحة: ٨٠. الوزاني، المعيار الجديد، ٤٨٠/١.

(٣٦) - " علي بن عبد السلام بن علي، أبو الحسن التسولي، فقيه، من علماء المالكية، تسوليّ الأصل والمولد. يلقب "مُدِيدَشْ ". نشأ بفاس، وولي القضاء بها، ثم بتطوان وغيرها، وتوفي بفاس"، الزركلي، الأعلام، ٢٩٩/٤.

(٣٧)- مخطوط "الأجوبة"، الونشريسي، مخطوط، اللوحة: ٦٠، التسولي(أبو الحسن)، الجواهر النفيسة فيما يتكرر من الحوادث الغريبة"، الخزانة الحسنية-الرباط، رقم: ١٢٥٧٤، الجزء: ١، اللوحة رقم: ٦٧.

(٣٨)- مخطوط "الأجوبة"، الونشريسي، اللوحة: ٦٨. و التسولي (أبو الحسن)، "الجواهر النفيسة فيما يتكرر من الحوادث الغريبة-من نوازل البيوع والإقالة والتولية والثنيا إلى نوازل الشركة والمزارعة والمغارسة-". تحقيق عبد اللطيف راحل، رسالة دكتوراه بكلية الشريعة آيت ملول-أكادير، السنة الجامعية: ٢٠١٧/٢٠١٨م، (ص: ٥٥٧).

(٣٩) - مخطوط "الأجوبة"، الونشريسي، اللوحة: ٦١، والتسولي، "الجواهر النفيسة فيما يتكرر من الحوادث الغريبة"، تحقيق عبد اللطيف راحل، (ص: ٦٠٩).

(٤٠)- مخطوط "الأجوبة"، الونشريسي، اللوحة: ٦٠، و"المعيار الجديد"، المهدي الوزاني، (٤٤٥/١).

(٤١)- مخطوط "الأجوبة"، الونشريسي، اللوحة: ٦٠، و"المعيار الجديد"، الوزاني، (٢٢٢/١٠).

(٤٢)- مخطوط "الأجوبة"، الونشريسي، اللوحة: ٦٠-٦١، و"المعيار الجديد"، الوزاني، (٤٥٠/٦).

ومسألة أخرى حول إذا ضَمن رَجل رجلا في جميع أحواله، هل للمضمون مُطالبة من شاء منهما؟ وغيره من المسائل التي اقتصر فيها الوزاني على نقل الجواب فقط؛ دون إرفاقه بالأسئلة المسطورة في كتاب "الأجوبة".

خاتمة:

وأخيراً؛ نرجو أن يكون البحث أظهر شيئا من أهمية هذا المؤلف النوازلي النَّفِيس، وحَرَّكَ رَغْبَةَ الباحثين في الإفادة منه، راجين من الله سبحانه أن يُيَسر تحقيقه وتدقيقه وإتاحته للمهتمين بتراث الغرب الإسلامي.

•اللوحة الأولى من مخطوط "الأجوبة"



اللوحة الأخيرة من مخطوط "الأجوبة"



واجهة كتاب الأجوبة الونشريسية على المسائل القلعية:



●قائمة المصادر والمراجع:

- ابن مريم محمد المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية-الجزائر، الطبعة الأولى: ١٣٣٦هـ/١٩٠٨م.

-ابن عسكر محمد الحسيني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر"، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة-الرباط الطبعة الثانية سنة ١٩٧٧م/١٣٩٧هـ.

- ابن مخلوف محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية-القاهرة، طبعة سنة ١٣٤٩هـ.

-التسولي أبو الحسن، الجواهر النفيسة فيما يتكرر من الحوادث الغريبة"، مخطوط بالخزانة الحسنية-الرباط، رقم: ١٢٥٧٤، الجزء: ١.

-التسولي أبو الحسن، الجواهر النفيسة فيما يتكرر من الحوادث الغريبة-من نوازل البيوع والإقالة والتولية والثنيا إلى نوازل الشركة والمزارعة والمغارسة-، تحقيق عبد اللطيف راحل، رسالة دكتوراه بكلية الشريعة آيت ملول-أكادير، السنة الجامعية: ٢٠١٧/٢٠١٨م.

- الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين-بيروت، الطبعة: ١٥، سنة ٢٠٠٢م.

- الزياتي عبد العزيز "الجواهر المختارة مما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة"، تحقيق غنية عطوي، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية-قسنطينة-الجزائر، السنة الجامعية: [١٤٣٣-١٤٣٤هـ/٢٠١٢-٢٠١٣م].

-السجلماسي، محمد بن القاسم، شرح العمل الفاسي لأبي زيد الفاسي، مخطوط بمكتبة الملك آل سعود–قسم المخطوطات، الرقم العام: ٥٣٨٨.

- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي-بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٩٨م.

-العلمي الشريف، "نوازل العلمي"، تحقيق المجلس العلمي بفاس، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغرب، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، طبعة سنة ١٩٩٧م.

- المقري أبو عبد الله، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر-القاهرة، طبعة سنة ١٣٦١هـ/١٩٤٢م.

-الوزاني المهدي الشريف، "المعيار الجديد الجامع المُعرِب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب"، تحقيق عمر بن عباد، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغرب، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- الونشريسي أبو العباس أحمد، "الأجوبة، مخطوط بمكتبة الملك عبد العزيز العامة-الرياض، رقم الحفظ: ٤٣٢٥.

-الونشريسي أبو العباس أحمد، المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى أهل افريقيا والأندلس والمغرب، تحقيق تحت إشراف محمد حجي، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغرب، سنة النشر ١٤٠١ه/١٩٨١م.

- الونشريسي أحمد أبو العباس، إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك، تحقيق أحمد بوطاهر الخطابي، صُندوق التراث الإسلامي المشترك بين الإمارات العربية المتحدة والمملكة المغربية، الطبعة الأولى: ١٩٨٠م/١٤٠٠ه